في القرن العشرين من دون استثناء بذكر.

● لكن ماذا يعني ذلك؟

●● معنى ذلك - في صراحة شديدة - أنني لم أقل على الإطلاق: إن البلاغة العربية كانت قد طورت نموذجا نقديا متطورا أو متكاملا. بل قلت - فقط: إنه كانت لدينا بذور أو خيوط كان يمكن تطويرها في نظرية لغوية وأخرى أدبية متكاملة.

ولم أكن أقصد بذلك على وجه الإطلاق، كما قال بعض المهاجمين لي: إنني أنبش تحت جذور البلاغة العربية، لكنني كنت أقصد أن الإنسان الذي ينفصل عن تراثه إنسان بلا هوية، إنسان يعيش - كما قلت - ثقافة الشرخ أو ثقافة الانفصام بكل سلبياتها.

● كيف استطعت إبان عملك مستشارا ثقافيا لمصر بأميركا أن تحمل هموم الثقافة العربية مع القدرة على التعامل مع «الحلم الأميركي» من دون انبهار؟

●● سأجيب عن سؤالك بطريقة غير مباشرة، وهو إنني كمصري وعربي عشت التجربة الأميركية مرتين: مرة في منتصف العشرينات، حيث ذهبت إلى أميركا كطالب علم، ثم ذهبت إلى العالم الجديد بكل الانبهار بالحلم الأميركي بمعطياته باعتبار أن أميركا بلد النجاح السهل.

أما الفترة الثانية، وبعد ربع قرن حينما ذهبت إلى أميركا مستشار مصر الثقافية، كنت أكثر قدرة على التعامل مع الحلم الأميركي من دون انبهار، بل من مسافة نقدية كافية لتحقيق رؤية جديدة مفادها أن أميركا ليست بالضرورة بلد اللبن والعسل، وفي الثانية لم تكن هناك مشكلة لقدراتي على تحقيق التوازن بين هويتي القومية وبين انبهاري بالتجربة الأميركية ■

• جريدة الشرق الأوسط، الخميس ١٢/٥/ ٢٠٠٥م، العدد ٩٦٦٢.

مقاطع من كتاب الجذور

الجذرُ...
لا يميته التراب
ولا يعوق طرحه الكفنُ
لكنه يموت في اخضراره
فيستجدْ
يا أيها الجذر الوتدْ
أنا بدايتك/ ولست منتهاك
فأنت في رمانة الفؤادْ
في اشتعال مهجة الولدْ
وأنت في الدموع مشرعاتْ
في الوريد والمدى
تسلْ في أضالعي نارا
وتخرج اللظى
من بينها صدى
وبين مدخلاتها
ثم الخروجْ
ألف ألف منحنى
وسدّ
يا أيها الجذر الوتدْ
صرت اشتعالي
منذ كنت الطفالي
في رقادك الطويلْ
في تباعد الصهيل
من قساوة الكمدْ
يا أيها الجذر الوتدْ
من ذا الذي
يضمد الجرح القديم
يرمم العمر القديم
يلم أشلاء المنى
من فوق جدران السنينْ
هل كان حتماً
أن تبدل المهامْ
في احتفالك الحزينْ
أم صار فرضا
أن يموت النحل
كي يشتار شهدْ؟
يا أيها الجذر الوتدْ
أقاطف الطروح
من حروفك التراث والسندْ
وأقرأ الخلودْ
في عيونك الجددْ
فالجذر... لا يميته التراب
ولا يعوق طرحه الكفنْ
لكنه...
يموت في اخضراره
فيستجدْ ■

رقعت المرصفي - مصر